

الشَّرحُ الموجَز على متْنِ

القواعِد الأربع

للإمام المجدِّد

محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى

دَرسٌ لفضيلةِ الشَّيخِ

محمَّد سَعيد رسْلان

فرَّغهُ واعتَنى بِهِ:

أبو إبراهيم رضوان بن محمَّد آل إسماعيل



بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمْدُ لله ، والصَّلاةُ والسَّلامُ علَى رسولِ الله وعلَى آلِه وصَحبِه ، وبَعدُ ..

فإِنَّ مِن أنفعِ المصَنَّفاتِ التي صنَّفها شَيخُ الإسلامِ المجدِّدُ محمَّدُ بنُ عبدِ الوهَّابِ رحمهُ اللهُ تعالى رِسالتَه الموسومةَ بـ (**القَوَاعِدِ الأَرْبَعِ**) وقد اهتَمَّ أهلُ العِلمِ بَعْدَهُ بنَشرِها وشرحِها لطلَبةِ العِلمِ ؛ لما اشْتَملَتْ علَيهِ مِن المسائِلِ المهَمَّةِ في بابِ العَقيدةِ .

وهذا شَرْحٌ لِلشَّيخِ الفاضِلِ محَمَّد بنِ سَعيد رَسْلان حَفظهُ اللهُ تعالى ، وهُوَ شَرْحٌ مُوجَزٌ ، سَهلُ العبارةِ ، بَيَّن فيهِ الشَّيخُ أهمَّ مسائلِ هذهِ الرِّسالةِ النَّافعةِ .

وأَصلُ هذا الشَّرحِ دَرْسٌ مِن سِلْسلةِ دُروسِ الشَّيخِ في العقيدةِ ، ألقاهُ الشَّيخُ في المسجِدِ الشَّرقِيِّ في مُحافظةِ المنوفيةِ بمِصرَ ، وكانَ تاريخُ إلقائِهِ هُوَ : الأحد ٢ مِن ذي الحجَّة سَنةَ ١٤٢٩ .

ولـمَّا كانَ الكتابُ المقروءُ أوسَعَ انتشارًا وأكثَرَ فائدةً مِن الشَّريطِ المسمُوعِ قُمتُ بِعونٍ مِن الله بِتَفريغِ هذا الشَّرحِ النَّافعِ ، واتَّبَعْتُ في ذلكَ ما يأتي :

❁ قمتُ بِتَمييزِ مَتْنِ القَواعدِ الأربَعِ عَن الشَّرحِ بِجَعْلِهِ بَينَ قَوسَينِ (...) ، وبِلَونٍ أحمرَ مُغايِرٍ لِلشَّرحِ .

❁ قمتُ بِعَزْوِ الآياتِ وتَخريجِ الأحاديثِ الوارِدَةِ ، سواءٌ كانتْ في المتنِ أَو الشَّرحِ .

* قمتُ كذلك بِتَشكيلِ الكلماتِ وضَبْطِها ، حتَّى يَتَمكَّنَ القارئُ مِن قِراءَتِها بِشَكلٍ صَحيحٍ .

* قسَّمتُ الشَّرحَ إلى فقراتٍ ، ووضعتُ لِكُلِّ فِقرةٍ عنوانًا يُناسِبُها ؛ حتَّى يَسْهُلَ علَى القارئِ فَهمُ ما ذُكِرَ في الشَّرح مِن المَسَائِلِ ، وجَعلْتُ هذه العناوينَ بَينَ مَعْكوفَتَين [...] ، ولم أزِدْ علَى أصلِ الشَّرحِ شَيئًا سِوى ذلكَ .

* علَّقتُ علَى بعضِ المَواضِعِ مِن الشَّرحِ ؛ لبَيَانِ معنَى كلمةٍ ، أو لتَوْثيقِ عبَارةٍ ، أَو لِذكرِ فائِدةٍ مُتعلِّقةٍ بالموضُوعِ ، وما شَابهَ ، معَ الحِرْصِ علَى عدَمِ الإكثارِ مِنهَا .

وقَبْلَ أنْ أختِمَ أُحبُّ أنْ أشكرَ القائمينَ على موقعِ الشَّيخ محمَّد سعيد رَسلان علَى مايَبذُلونَهُ مِن جُهدٍ في نَشرِ العِلمِ الصَّحيحِ القائِمِ علَى الكتابِ والسُّنَّةِ ، فَجزاهُم اللهُ خَيرًا ، وكذلكَ أشكرُ كلَّ مَن ساعدَني في هذا العملِ ، وأسألُ اللهَ تعالى أنْ يجعلَ جميعَ أعمالِنا خالصةً لوجهِهِ الكريمِ ، إنَّه وليُّ ذلكَ والقادرُ عليهِ ، وصلَّى اللهُ علَى نبيِّنا محمَّدٍ وعلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسلَّمَ ، والحمْدُ لله رَبِّ العالمينَ .

قَيَّدهُ بِقَلَمِهِ

رِضوانُ بنُ محمَّد آل إسماعيل

عَجْمان ـ إ . ع . م

* رابطُ موقعِ الشَّيخِ محمَّد سعيد رَسلان حفِظَهُ اللهُ تعالى :
www.rslan.com

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[خُطبَـةُ الكِـتَابِ]

إنَّ الحمدَ لله ، نَحمَدُه ونَسْتعينُه ونَستَغْـفِرُه ، ونَـعُوذُ بـالله مِـن شُرورِ أنفُسِـنا ومـن سَيِّئاتِ أعمـالِنا ، من يَـهدِه اللهُ فلا مُضلَّ له ، ومن يُضلِل فلا هادِيَ له ، وأشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ وَحدَه لا شَريكَ له ، وأشهدُ أنَّ محمَّدًا عبدُه ورَسولُه صلَّى اللهُ علَيه وعلَى آله وسلَّم ، أَمَّا بعدُ ..

فإنَّ أصدقَ الحديثِ كتابُ الله ، وخيرَ الهدْيِ هَـدْيُ محمَّـدٍ صـلَّى الله عليـه وعـلى آلِـه وسلَّم ، وشَـرَّ الأمورِ مُـحْدَثَـاتُها ، وكلَّ مُحدَثَـةٍ بِدعةٌ ، وكلَّ بِدعةٍ ضلالَـــةٌ ، وكُــلَّ ضلالَـةٍ في النَّـارِ ، أمَّا بَـعْدُ ..[1]

[موضُوعُ الرِّسالةِ ، وأهمِّـيَّـتُها]

فهذه رسالةُ القواعدِ الأَربع ، وهي في مَضمونها مُتعلِّقةٌ بتصحيحِ الاعتِقادِ ، ومَعرِفـةِ التَّوحيدِ ، ومَعرِفةِ الشِّركِ ، وتُعرَفُ قيمةُ هذه الرِّسالةِ بمَعرفةِ أَضْدادِ ما تَضَمَّنَـتْها ،

---

(١) هذه الخُطبةُ رواها مسلمٌ في صحيـحِه (٨٦٧) ، وابنُ ماجهْ في سُننِه (٤٥) ، يُسمِّـيها العلماءُ (**خُـطبةَ الحاجَـةِ**) ، ومِن السُّنة ابتـداءُ الخُـطبةِ بها ، سواءٌ كانت خُطبةَ جُمـعةٍ أو عيدٍ أو نكاحٍ ، أو درسٍ أو محاضـرةٍ ، انظر : السلسلةَ الصحيحةَ (١/ ٢٨) .

تُعرَفُ قيمتُها بالإِخلالِ بمَعرِفتها ، فـإِنَّ الإِخـلالَ بمَعرِفــتِها ، والإِخـلالَ بتَحريـرِ ضَبْـطِها ، يُؤدِّي إلى خَلَل عظيمٍ في مَعرِفـةِ حالِ الموَحِّدينَ وحالِ المشْرِكينَ .

[مَعنَى القواعِدِ]

القَواعِدُ : جمعُ قاعِدةٍ ، وهيَ الأَصْلُ الذي يتَفـرَّعُ عَنهُ مَسائلُ كثيرة أو فُروعٌ كثيرة .

[أهمِّـيَّـةُ مَعرِفةِ التَّوحيدِ وتَميـيزِهِ عنِ الشِّركِ]

وكثيرٌ مِنَ النَّاسِ لَمْ يَصِحَّ لهم مَنهَجٌ في مَعرِفةِ حالِ الـمُشرِكينَ وحالِ الموَحِّـدينَ ، ومَعرِفةُ التَّوحِيدِ الذي خلقَ اللهُ النَّاسَ لأجلِهِ ، ومَعرِفةُ الشِّركِ الـذي نَهـى اللهُ عنـهُ ، مَعرِفةُ ذلِكَ أَوجَبُ من مَعرِفةِ الصَّلاةِ والزَّكاةِ وسـائِرِ العِبـاداتِ ، لأَنَّ التَّوحيـدَ هُـوَ الأَصْلُ الذي تُـبْنَى عَليْهِ ، والعِباداتُ إِذا لَـمْ تُــبْنَ عَـلى العَقِيـدَةِ الصَّـحيحةِ وَهِـيَ التَّوحيدُ الخالِصُ لله ، فإنَّها لا تَصِحُّ .

[شَرحُ مُقدِّمةِ الرِّسالةِ]

وقَد بَدأ المصنِّـفُ رحمهُ الله تعالى رسالتَه بالدُّعاءِ لطالبِ العِلْمِ الـمُقْبِلِ على تَعلُّـمِ العَقيدةِ الصَّحيحةِ ، وبِالدُّعاءِ للقارئِ الـمُتَـلَمِّسِ طريقَ الحقِّ والرَّشادِ ، فقالَ رحمـهُ الله : (أسْـأَلُ الله الكـريمَ ربَّ العَـرْشِ العَظـيمِ أنْ يَتَـوَلَّاكَ في الـدُّنيا والآخِـرَةِ ، وأنْ يجعَلَكَ مُبارَكًا أَيْنَما كُنتَ ، وأنْ يجعَلَكَ مِـمَّن إذا أُعطِـيَ شَكَرَ ، وإذا ابْـتُلِـيَ صَـبرَ ، وإذا أَذْنبَ اسْتغفرَ ، فإنَّ هؤُلاءِ الثَّلاثَـةَ عُنْوانُ السَّعَادةِ .

اعْلَم أرشَـدَكَ الله لِطاعَتِهِ أنَّ الـحَنِيفيَّةَ مِلَّةَ إبراهـيمَ أنْ تَعـبُدَ الله وحدَهُ مُـخلِصًا

لهُ الدِّينَ ، وبِذلكَ أَمَرَ اللهُ جميعَ النَّاسِ ، وخَلَقَهُمْ لها ، كما قالَ اللهُ تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [1] فإذا عرفْتَ أنَّ اللهَ تعالى خَلَقكَ لِعِبَادتِهِ ، فاعْلَم أنَّ العِبَادةَ لا تُسَمَّى عِبادةً إلَّا مع التَّوْحيدِ ، كما أنَّ الصَّلاةَ لا تُسَمَّى صلاةً إلَّا مَعَ الطَّهارةِ ، فإذا دخلَ الشِّركُ في العِبادةِ فَسَدَتْ ، كالحَدثِ إذا دخلَ في الطَّهارةِ) .

قالَ الشَّيخُ رحمهُ اللهُ تَعَالى سَائِلًا اللهَ الكريمَ رَبَّ العَرشِ العظيمِ أنْ يَتَولَّى طالِبَ العِلْمِ في الدُّنيا والآخِرةِ ، فبدأَ بالدُّعاءِ ؛ لأنَّ اللهَ تعالى إذا تولَّى العبدَ في الدُّنيا والآخِرةِ ، فإنَّهُ لا يصِلُ إليهِ مَكرُوهٌ في الدُّنيا ولا في الآخِرة ، قالَ تَعَالَى : ﴿ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ ﴾ [2]

فبدأَ بهذا الدُّعاءِ العظيم ، وثَنَّى بِدُعاءٍ آخَرَ ، وهُو قولُه : (وأنْ يجعلَكَ مُبارَكًا أَيْنما كُنْتَ ، وأنْ يجعلَكَ مِمَّن إذا أُعطِيَ شَكَرَ ، وإذا ابْتُلِيَ صَبَرَ ، وإذا أَذْنبَ استَغْفَرَ ، فإنَّ هؤلاءِ الثَّلاثَةَ عُنْوانُ السَّعادةِ) ؛ لأنَّ منْ أتَى بها فقَدْ قامَ بِحَقِّ اللهِ عَلَيهِ ، لأنَّ العبْدَ لا يَنْفَكُّ عن نِعمةٍ ، فحقُّها الشُّكرُ ، أو بَلِيَّةٍ فحقُّها الصَّبرُ ، أو ذَنْبٍ فحقُّهُ الاستِغْفارُ .

قالَ المصَنِّفُ رحمهُ اللهُ تعالَى : (اعْلم أرشدَكَ اللهُ لطاعتِهِ) ، و (اعْلَم) كَلِمةٌ يُؤْتَى بها لِلاهْتِمامِ والحَثِّ على تَدبُّرِ ما بعدَهَا ، الخِطابُ بها في هذا الموضِعِ لِكُلِّ مُكَلَّفٍ ،

---

(١) سورة الذَّاريات ، الآيَة : (٥٦) .

(٢) سورة البَقرة ، الآيَة : (٢٥٧) .

فيُؤتَى بهذِهِ الكلِمَةِ (**اعْلَم**) من بابِ التَّنبِيـهِ وحَثِّ السَّامِعِ على أنْ يُصغِي لما سَيُقَالُ .

(**أرشَدَكَ اللهُ لطاعتِـهِ**) : وهذا دُعاءٌ من المصَنـِّفِ رحمهُ اللهُ للقارِئِ يَدُلُّ على شفَـقَتِـهِ ومحبَّةِ الخَيرِ لمن قَـرَأَ رِسالتَهُ أو سمِعَها ، وهيَ جُملَةٌ خَبَرِيَّةٌ لَفْظًا (**أرشَدَكَ اللهُ لطاعتِهِ**) إنْشائِـيَّةُ المعْنَى ، لأنَّ المرادَ بها الدُّعاءُ لِلْمُتَـعلِّمِ بالاهتِـدَاءِ إلى طَاعةِ اللهِ تعـالى ، و قَـدْ جمَعَ رحمهُ اللهُ تعالى هُنا بَـيْنَ الدُّعاءِ و التَّعليم .

(**اعْلَمْ أرشدَكَ اللهُ لطاعتِـهِ أنَّ الحنيـفِيَّـةَ مِلَّـةَ إبراهيمَ أنْ تعبُدَ اللهَ وحْدَهُ مُـخلِصًا لَهُ الدِّينَ ، و بِذلِكَ أمرَ اللهُ جمِـيعَ النَّاسِ ، و خَلَقَهم لَهَا**) والإشارَةُ في قولِهِ (**وبِذلِكَ**) للعِبادَةِ الخَالِصَةِ (**أنْ تَعْـبُدَ اللهَ وحْدَهُ مُـخلِصًا لهُ الدِّينَ**) و بهذا المذْكورِ أمرَ اللهُ جميعَ النَّاسِ وخلقَهم لهذا المقْصِدِ الذي ذكر ، وهُو أنْ يَعبُدوا اللهَ وحْدَهُ مخلِصِينَ لَهُ الدِّينَ .

[معنَى الحنِـيـفِـيَّـةِ]

و(**الحنِيـفِيَّـةُ**) : هيَ الـمِلَّةُ المائِلَةُ ، الملَّةُ المائِلَةُ عن الشِّرْكِ ، المبْنِيَّةُ على الإخـلاصِ وحْدَهُ ، والحنيفُ : الَّذي أقبَلَ على اللهِ وأعْرضَ عمَّا سِواهُ ، وأخْلَصَ للهِ العِبادَةَ وحْدَهُ طائِعًا للهِ ، و الطَّاعةُ : مُوافَـقَةُ المرادِ ، فِعلاً للمأْمورِ وتَرْكاً للمِحظورِ .

[التَّعريفُ بمِلَّـةِ إبراهيمَ عليْهِ السَّلامُ]

و(**مِلَّـةُ إبراهيمَ**) هيَ (**أنْ تعبُدَ اللهَ وحْدَهُ مخلِصًا لهُ الدِّينَ**) ، وذلِـكَ بِاجْتِـنَابِ الشِّركِ وبالبَرَاءَةِ من الشِّركِ والمشركينَ وقَدْ أمرَ اللهُ نبيَّنا صلَّى اللهُ عليهِ وعلَى آلِهِ وسلَّمَ بِاتِّباعِ مِلَّةِ إبراهيمَ ، قالَ تعالى : ﴿ **ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ**

مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [١] وأمرَنا اللهُ تعالى بِاتِّباعِ مِلَّةِ إبراهيمَ فقالَ سبحانه : ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ [٢] وهذِهِ العِبادةُ التِي أمرَ اللهُ بها ، هِيَ الَّتِي لأجلِها خلقَ اللهُ الخَلْقَ ، قالَ تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [٣] أَيْ : لِيُوَحِّدُوني ، أيْ : لِيُفرِدُوني بِالعبادةِ ، ومِلَّةُ إبراهيمَ التَّوحيدُ .

[تَعريفُ العِبَادةِ ، وشَرْطُ قَبُولِها]

(**فإذا عرفْتَ أنَّ اللهَ خلقَكَ لعِبَادتِهِ ، فاعْلَمْ أنَّ العِبَادةَ لا تُسَمَّى عِبادةً إلَّا مع التَّوْحيدِ**) .

والعِبَادةُ : غايةُ الذُّلِّ مع غايَةِ الحُبِّ [٤] و العِبادةُ : ما أمرَ اللهُ بِهِ شَرْعًا من غيرِ اطِّرادٍ عُرْفيٍّ ولا اقْتِضاءٍ عَقْليٍّ ، لأنَّها تَوقيفِيَّةٌ لا تَثبُتُ بِالعَقلِ ولَا تَثبُتُ بِالعُرْفِ ، من غيرِ اطِّرادٍ عُرْفيٍّ ولا اقْتِضاءٍ عَقْليٍّ ، هي ما أمرَ اللهُ بِهِ شَرْعًا .

والعِبَادةُ : اسْمٌ جامِعٌ لِكُلِّ ما يُحِبُّه اللهُ ويَرْضاهُ من الأقوالِ والأعمالِ الظَّاهِرَةِ والباطِنَةِ كما عَرَّفَها بِذلك شَيْخُ الإسْلامِ رحمهُ اللهُ [٥] .

---

(١) سورة النحل ، الآيـة : (١٢٣) .

(٢) سورة الحج ، الآيـة : (٧٨) .

(٣) سورة الذَّاريات ، الآيـة : (٥٦) .

(٤) قال ابنُ القَيِّمِ رحمهُ اللهُ تعالى في النُّونيَّة :

وعِبادةُ الرَّحمنِ غايةُ ذُلِّهِ ... مَعْ حُبِّ عابِدِهِ هُما قُطْبَانِ

(٥) بدأ شيخُ الإسلامِ رحمهُ اللهُ تعالى بهذا التعريفِ رسالتَه العظيمةَ (العُبوديَّة) ، وللشيخِ محمد سعيد رسلان حفظه الله شرحٌ لهذه الرسالةِ في تِسعةِ مجالسَ ، وهو مُتوفِّرٌ صوتِيًّا في موقعِ الشيخِ .

والعِبادةُ الَّتِـي يقبَلُها اللهُ تعالى هِيَ ما توَفَّـرَ فيها شَرْطانِ :

* الإخْلاصُ لله ، حَيْثُ لا شِرْكَ فيها .

* والـمُتابَعةُ للنَّبِيِّ صلَّى اللهُ علَيْه وعلَى آلِه وسلَّمَ ، حَيْثُ لا بِدْعَةَ مَعَها .

فإذا اخْتَـلَّ الشَّرطُ الأوَّلُ ـ وهُوَ الإخْلاصُ ـ فدخلَ الشِّركُ العِـبَادةَ ، كـانَ مَـنْ أتَـى بذلك غيْرَ عابدٍ لله ، وإذا اخْتَلَّ شَرطُ المتابَعةِ ، صارَت العِبادةُ ابْـتِداعًا في دِينِ الله [1] .

والَّذي ذكرَهُ الشَّيخُ رحمهُ اللهُ تعالى إنَّما هو للتَّقريبِ ، فإنَّ الشَّيخَ قد قالَ : (كما أنَّ الصَّلاةَ لا تُسَمَّى صلاةً إلَّا مـعَ الطَّهـارةِ ، فـإذا دخـلَ الشِّـركُ في العِــبَادةِ فسَـدَتْ ، كالـحَدَثِ إذا دخلَ في الطَّهارةِ) وإنَّما ذكـرَ ما ذكـرَ هَاهُنا رحمهُ اللهُ تعالى للتَّــقريبِ ، لأنَّ شَرطَ الإخلاصِ والتَّوحيدِ لِقَبولِ العِبادةِ أَعْظَمُ مِن شَرطِ الطَّهارةِ لِقَبولِ الصَّلاةِ ، فإنَّ مَن صلَّى مُحْدِثًا مُتَعَمِّدًا فَفِي تكْفيرِهِ خِلافٌ بَيْن العُلماءِ ، وأمَّا مَن عَبَـدَ اللهَ مُشْرِـكًا بِهِ فَلا خِلافَ فِيـهِ .

قالَ الشَّيخُ رحمهُ اللهُ تعالى وقَدْ أتَى بمَثَلٍ حِسِّيٍّ حتَّى يُقَرِّبَ المِثالَ المعْنَوِيَّ : الشِّركُ يُبطِلُ العِبادةَ كما أنَّ الحَدَثَ يُفْسِدُ الطَّهارةَ ، فأيُّ عِبادةٍ خالَطَها شِرْكٌ أو داخَلَها فإنَّهـا باطِلَةٌ ، كما أنَّ الطَّهارةَ إذا خالَطَـها أو باشَرَها الحَدَثُ فَسَـدَتْ ، فَكذلِكَ العِـبادَةُ إذا دَخلَها الشِّرْكُ : (فإذا عرفْتَ أنَّ اللهَ تعالى خَلَقَكَ لِعِبادَتِهِ ، فاعْلَم أنَّ العِبادةَ لا تُسَمَّى عِـبَادةً إلَّا معَ التَّوحيـدِ ، كما أنَّ الصَّلاةَ لا تُسمَّى صَـلاةً إلَّا مَعَ الطَّـهَارةِ ، فـإذا دخلَ

---

(١) لما في الصَّحيحينِ مِن حديثِ عائشةَ رضي اللهُ عنها مرفوعًا : (مَن أَحْدَثَ في أمرِنا هذا ما لَيْسَ مِنهُ فَهُو رَدٌّ) ، أخرجهُ البخاريُّ (٢٦٩٧) ومسلمٌ (١٧١٨) ، وفي روايةٍ لمسلمٍ عنها كذلك : (مَن عَمِلَ عَمَلًا لَيسَ عليهِ أمرُنا فهوَ رَدٌّ) .

الشِّركُ فِي العِبادةِ فَسدَتْ ، كالـحَدثِ إذا دخلَ فِي الطَّهارةِ) .

[سَبِـيلُ السَّعَادةِ الحقِيـقِـيَّـةِ] [1]

السَّعادَةُ : هِيَ الشُّعُورُ بِالرِّضا والأمْنِ ، وأَكثرُ النَّاسِ يَبْحَثُ عن السَّعادةِ فِي المالِ ، وفِي المَلْبَسِ والمَرْكَبِ ، وفِي وسائلِ التَّرْفيهِ ، ولكِنَّ السَّعادةَ لا تَتَحقَّقُ بِمُجَرَّدِ حُصـولِ ذلكَ ، فَالسَّعادةُ الحَقَّةُ إنَّما تَحْصُلُ بِثَلاثِ خِصالٍ ، يَجْمَعُها الإِيْمانُ بِالله والتَّقَرُّبُ إِلَيهِ ، يَجْمَعُها التَّوحيدُ والمتابَعَـةُ ، فالسَّعادةُ الحَـقَّةُ لا يُمكِنُ أنْ يُتَحصَّلَ عَلَيْهـا إلَّا بـالإِيْمانِ بِالله ، وبِمُتَابَعةِ رَسُولِ الله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّم ، والخِصالُ الثَّلاثُ هِيَ :

* الأُولَى : الاعْتِرافُ بِفَضلِ الله عَلَيْهِ ، والشُّكْرُ لهُ علَى نِعَمِـهِ .
* والثَّانِيَـةُ : إِيْمـانُ العَبْدِ بِقَضاءِ الله وقَـدَرِهِ ، معَ التَّسْـليمِ لِلقَضاءِ والقَدَرِ ولِحِكْمَةِ الله تبارَكَ وتَعالى فيما قَضَى وقَدَّرَ ، معَ الصَّبْرِ علَى ما قَدَّرَهُ اللهُ مِن المقاديرِ الـمُؤلِـمَةِ .
* والثَّالِثَـةُ مِن الخِصالِ : الرُّجوعُ الدَّائِـمُ إِلى الله بِالتَّـوْبَـةِ والاستِغْفارِ ، خاصَّةً عِندَ ارْتِكابِ الذَّنبِ .

ولِذلِكَ قالَ الشَّيخُ ـ وهذا مِن كلامِ العلَّامة ابنِ القَيِّمِ رحمهُ اللهُ تعالى ـ : (وأنْ يجعلَكَ مِـمَّن إذا أُعطِيَ شَكَرَ ، وإذا ابْتُلِـيَ صَبَرَ ، وإذا أَذْنَـبَ اسـتَغْفَرَ ، فـإنَّ هـؤلاءِ الثَّلاثَـةَ عُنْوانُ السَّعادةِ) فَلا يُمكِنُ أنْ يَتَحَصَّلَ العَبدُ علَى السَّعادةِ إِلَّا بِالشُّكرِ عـلَى نَعْـمَاءِ الله تَبارَكَ وتعالى ، والصَّبرِ علَى بَلائِـهِ ، والاستِغفَارِ إذا وَقَعَ فِي الذَّنبِ .

---

(١) في هذه الفقرةِ رجعَ الشيخُ حفظهُ اللهُ تعالى إلى المقدِّمةِ الأولى في المتنِ ، وهي الدُّعاءُ لطالبِ العلمِ ، وبيانُ سبيلِ السَّعادةِ الحقَّةِ لِيربطَ بين الأمورِ الثلاثةِ المذكورةِ وبين التزامِ الحنيفيَّةِ وهي الإخلاصُ لله تعالى ، وبذلك تَحصُل السَّعادةُ الحقَّةُ .

إِبراهيمُ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ جاءَ بِالحنيفِيَّة السَّمْحَةِ ، وهِيَ إخلاصُ العِبادةِ لله ، وبِذلِكَ عَيْنِهِ جاءَ محمَّدٌ صلَّى الله عليهِ وعلَى آلِه وسلَّمَ ، وبِذلِك تَحْصُلُ السَّعادةُ البَشَرِيَّةُ ، فلا يُمكِنُ أنْ يَتَحَصَّلَ البَشَرُ علَى السَّعادةِ إلَّا إذا أخذوا بالحنيفِيَّةِ السَّمْحَةِ ، وهِيَ إخلاصُ العِبَادَةِ لله جَلَّ وعَلا ، والعِبادةُ لا تكونُ صحيحةً إلَّا بالتَّوْحيدِ ، كما قالَ سُبْحانَهُ : ﴿ قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴾ (١) فلا تَصِحُّ العِبَادةُ إلا بِتَوحيدِ الله جَلَّ وعَلا .

[أهمِّيَّةُ مَعرِفةِ الشِّركِ الـمُنافي للتَّوْحيدِ]

قالَ الشَّيخُ رحمهُ اللهُ تعَالى : (فَإذا عَرَفْتَ أَنَّ الشِّركَ إِذا خالَطَ العِبادةَ أفْسَدَها وأحْبَطَ العَمَلَ وصارَ صاحِبُهُ مِن الخالِدينَ في النَّارِ عَرَفْتَ أنَّ أهَمَّ ما عليكَ مَعرِفةُ ذلك ؛ لعلَّ اللهَ أنْ يُخَلِّصَكَ مِن هذِهِ الشَّبَكَةِ ، وهِيَ الشِّركُ بِالله ، الَّذي قالَ اللهُ تعالى فيهِ : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾) (٢) .

ذَكرَ الشَّيخُ رحمهُ اللهُ تعالى نَتيجَةَ ما ذَكَرَ قَبْلُ (فَإذا عَرَفْتَ أَنَّ الشِّركَ إِذا خالَطَ العِبادةَ أفْسَدَها وأحْبَطَ العَمَلَ وصارَ) الـمُشْرِكُ (مِن الخالِدينَ في النَّارِ) إذا عَرَفْتَ ذلِكَ (عَرَفْتَ أنَّ أهَمَّ ما عليكَ مَعرِفةُ ذلِكَ) .

فإذا عَرَفْتَ أنَّ التَّوحيدَ لله إفرادُ الله بِالعِبادةِ ، فَقَدْ وَجَبَ أنْ تعرِفَ ما هُو الشِّركُ ؛ وذلِكَ لِكَيْ لا تقعَ فيهِ ، لأنَّ اللهَ حذَّرَ مِن الشِّركِ فقالَ سُبْحانَهُ : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن

---

(١) سورة الزمر ، الآية : (١١) .

(٢) سورة النساء ، في موضعين ، الأوَّل : (٤٨) ، والثَّاني : (١١٦) .

﴿يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ وكما أنَّ أعْظَمَ ما أمرَ اللهُ بـهِ التَّوحيدُ ، فـأعْظَمُ ما نَهى اللهُ عنهُ الشِّركُ ، وهذا الخطَرُ العَظيمُ تَحْـرُمُ بـهِ الجَنَّـةُ ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ﴾[1] ؛ لِأَنَّهُ تَحْرُمُ بِالشِّركِ المغْفِـرَةُ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ﴾ فَيجِبُ إذنْ أنْ تعرِفَ هذا الخطَرَ العَظيمَ لِتَجْتَـنِـبَهُ وأنْ تعـرِفَ هـذا الشِّـركَ وتِلـك الشَّبَكَةَ لِتَـتوَقَّى كُلَّ ما يُقَـرِّبُكَ إلَيْها ، فَضْلاً عَن أنْ يُوَرِّطَـكَ فيهـا ، وذلِـكَ بِمَعرِفـةِ هذِهِ القَواعِدِ الأَرْبَع .

القـاعـدة الأولـى :

قالَ الشَّيخُ رحمهُ اللهُ تعالى : (أنْ تَعلَمَ أنَّ الكُفَّارَ الَّـذينَ قـاتَلَهم رسـولُ اللهُ صـلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ مُقِرُّونَ بِأَنَّ اللهَ تعالى هُوَ الخالِقُ المدَبِّرُ وأنَّ ذلِكَ لمْ يُـدخِلْهم في الإسْـلامِ ، والدَّليلُ قولُه تعالى : ﴿قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أَمَّن يَمۡلِكُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَمَن يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُۚ فَقُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾)[2] .

﴿فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ﴾ يَعني : الذي يَفْعلُ هذهِ الأُمورَ هوَ اللهُ وَحدهُ ، فَهـمْ مُقِـرُّونَ بِذلكَ ، بِأَنَّ اللهَ هوَ الذي يَرزُقـهُم مِن السَّماءِ والأرضِ ، وهوَ الذي يَمْـلِكُ السَّمعَ

---

(١) سورة المائدة ، الآية (٧٢) .

(٢) سورة يونس ، الآية (٣١)

والأَبصارَ وهوَ الذي يُخْرِجُ الحَيَّ مِن الميِّتِ ويُخْرِجُ الميِّتَ مِن الحَيِّ وهـوَ الـذي يُـدَبِّرُ الأمرَ ﴿فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ﴾ يَفعَلُ هذا كُلَّهُ ، ﴿فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ يَعني : أَتَـقولونَ ذلكَ وتُقِـرُّونَ بِـوَحْدانِـيَّـةِ الله جَلَّ وعَلا في رُبوبِـيَّـتِـهِ ولا تُخْلِصونَ العِـبادةَ لَهُ وحـدَهُ ؟! وتُشرِكونَ بِهِ ؟! فَـأقَامَ علَيهِم الحُـجَّـةَ مِن إقـرارِهِم .

[الإقرارُ بتَوحيدِ الرُّبوبِيَّـةِ لا يَكْفِي لِلدُّخولِ في الإسْلامِ]

فَلَيْسَ التَّوحيدُ الإقرارَ لله بِالخلقِ وَالملكِ وَالتَّدبيرِ معَ صرفِ العبادةِ لِغيْرِهِ ، لـيسَ هذا بِتَوحيدٍ ، فَهؤلاءِ المشرِكونَ أَقـرُّوا لله بِتَوحيدِ الرُّبوبيَّةِ وهوَ إِفرادُهُ سُبحانهُ بِالخلقِ وَالمْلكِ وَالتَّدبيرِ ، وَمعَ ذلكَ عَبدوا غَيرهُ فَكانوا مُشركينَ ، وَلَمْ يُدخِلْهُمْ إِقْرارُهُمْ ذلكَ في الإِسلامِ وَلَمْ يُخرِجْهُمْ مِنَ الكُفرِ .

فهذِهِ القاعِدةُ تُبيِّنُ حالَ المؤمنينَ وحالَ المشركينَ ، وَكَثيرٌ منْ أهلِ زَمانِنـا وَقَـبلَهُمْ يَعْتـقدُونَ أنَّ الشِّركَ هوَ أنْ تَعتَـقدَ أنَّ أَحدًا يَخلُقُ معَ الله أَو يَرزُقُ مـعَ الله ، هـذا هـوَ الشِّركُ عِندَهمُ ، عِندَ كثيرٍ منْ أَهلِ زَمانِنا وَقبلَهُمُ ، يَقْصُرونَ الشِّركَ عـلى ذلـكَ ، أَنْ تَعْتقدَ أَنَّ أَحدًا يَخْلقُ معَ الله أوْ أنَّ أَحدًا يَرزُقُ معَ الله ، يَقْصُرونَ الشِّـركَ عـلى ذلـكَ ، معَ أنَّ الكُفَّارَ الَّذينَ قاتَلَهُمْ رسولُ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلَى آلِه وسلَّمَ كانوا مُقرِّينَ بِأنَّ اللهَ تعالى هوَ الخالِقُ الـمُدبِّـرُ كما في هذهِ الآيةِ العظيمةِ ، وَلَمْ يُدخِلْهُمْ ذلكَ في الإِسـلامِ قـالَ تعـالى : ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ [1] أيْ : وَمـا يُـؤمنُ

---

(١) سورة يوسف ، الآيـة : (١٠٦)

أَكْثَرُهُمْ بِالله إِيمانَ الرُّبوبيَّةِ إِلَّا وَهُمْ مُشرِكونَ بِهِ في عِبادَتِه ، فَيُؤمِنونَ بِأَنَّ الله هوَ الخالِقُ وَهوَ المالكُ وهوَ المُدبرُّ وَيَصْرِفونَ العِبادةَ لِغيْرِهِ .

التَّوحيدُ هوَ طَريقُ النَّجاةِ ، فَإنَّ مَنْ لَقيَ الله مُوحِّدًا نَجا وَأَفلَحَ ، وَالشِّركُ طَريقُ الهَلاكِ ، فَمنْ لَقيَ الله مُشرِكًا فقَدْ خابَ وَخسِرَ .

الشِّركُ نَجاسةٌ ، إِذا دَخلَ العِبادةَ أَفسَدها وَأَحْبطَ ثَوابَها ، فَيجبُ علَى المُسلمِ أنْ يحفظَ نَفْسهُ منَ التَّلوثِ بِالشِّركِ ، إِذْ هوَ نَجاسَةٌ .

الذي يُقرُّ بِوُجودِ الله ، وَأَنَّهُ خالِقُ العالمِ ، وَأَنَّهُ الذي يُدبِّرُ أُمورَ النَّاسِ وَيَصرِفُ شُؤونَ الكَونِ ، إِقْرارُهُ صَحيحٌ ، وَلكنَّهُ لا يَكونُ بِهذا الإِقرارِ وَحدَهُ مُسلِماً ، حتَّى يُؤمِنَ بِأَنَّهُ لا يَستحِقُّ العِبادةَ إِلَّا اللهُ وَحتَّى يَعبُدَ الله وَحْدَهُ لا شَريكَ لَهُ .

[خطأ المتكلِّمينَ في تعريفِ الإلهِ]

المتكَلِّمونَ عرَّفوا الإلهَ بأَنَّهُ القادرُ على الاخْتِراعِ ، وهذا يَرجِعُ إلى تَوحيدِ الرُّبوبيَّةِ ، هذا الذي قَرَّرُوهُ فَشاعَ وذاعَ ، وصارَ مُقَرَّرًا في معاهِدِ العِلْمِ وفي مَدارِسه ، وتَربَّتْ عليهِ الأجيالَ ، هذا الذي قَرَّرَهُ المتكلِّمونَ أعظَمُ غَلَطٍ علَى دِينِ الإسلامِ ؛ لأَنَّه تَرَسَّخَ أنَّ الذي يُقِرُّ بأنَّ اللهَ هو الخالِقُ ولَوْ صَرَفَ العِبادةَ لِغَيرِهِ تعالى تَرَسَّخَ أنَّهُ مُؤمِنٌ مُوَحِّدٌ مادامَ قد أَقَرَّ بأنَّ اللهَ هُو الخالِقُ ، وإنْ فَعَلَ في العِبادةِ ما فَعَلَ صَرْفًا لِلعِبادةِ عن الله جَلَّ وعَلا [1] .

---

(١) ولِذلكَ ظَهَرَ في زمانِنا هذا مَن يقولُ بأنَّ إبليسَ لم يَكفُر ، والدَّليلُ : أنَّه يقولُ : ﴿ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ ﴾ فهو مُؤمنٌ يُقرُّ بأنَّ اللهَ تعالى هو الذي خلقَهُ ، وهذا القائلُ إمَّا أنَّه لم يقرأ القرآنَ ، أو قرأَهُ ولم يفهمْ ما يقرأ ، أو أنَّه يُعارِضَ القرآنَ فإنَّ اللهَ تعالى يقولُ : ﴿ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ ولَو أنَّ هذا المسكينَ عرفَ هذه القاعدةَ وفهمَها =

[خطأ المتكلِّمينَ في تفسيرِ كَلِمةِ التَّوحيد]

وكَذلِكَ وَقَعَ الخطأُ العظيمُ والغَلَطُ الكبيرُ في تفسيرِهِم لِكَلِمةِ التَّوحيدِ ، فإنَّهم فَسَّرُوا كَلِمةَ التَّوحيدِ بأنَّهُ لا إلهَ مَوجُودُ إلَّا اللهُ ، والعِبادةُ راجِعةٌ إلى مَعْنَى الأُلوهِيَّةِ ، فلا إلهَ حقٌّ إلَّا اللهُ ، و لا مَعبُودَ بِحَقٍّ إلَّا اللهُ ، فهذهِ هِيَ القاعِدةُ الأُولَى . وأمَّا :

القاعدة الثانية

فَقَدْ قالَ الشَّيخُ رحمهُ اللهُ تعالى : (القَاعِدَةُ الثَّانِيةُ : أنَّهُم يَقُولونَ ما دَعَوْنَاهُم وتَوَجَّهْنَا إِلَيْهِم إلَّا لِطَلَبِ القُرْبَةِ والشَّفاعةِ ، فَدليلُ القُرْبَةِ قَولُ اللهِ تَعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَـٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴾ [١] ودَلِيلُ الشَّفَاعةِ قَولُ اللهِ تَعالى : ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَـٰٓؤُلَآءِ شُفَعَـٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾ [٢]) .

[مَقصودُ المشركينَ مِن إشراكِهِم في الأُلوهِيَّة]

وهذِهِ القَاعِدةُ هِيَ في بَيَانِ حالِ المُشْرِكينَ في عِبَادتِهم ، وفي الَّذي يَقصِدُونَهُ

= لَمَا وقعَ في هذا الزَّلَلِ الخطيرِ ، نسألُ اللهَ السَّلامةَ والعافيةَ ، وبِمِثلِ هذا تتبيَّن لكَ أهمِّيَّةُ هذهِ القواعدِ الأربعِ واللهُ أعلَم .

(١) سورة الزمر ، الآية : (٣) .

(٢) سورة يونس ، الآية : (١٨) .

بِعِبادتِهِم ، فَالمشركونَ الذينَ سَمَّاهُم اللهُ مُشركينَ ، وحَكَمَ علَيهِم بِالخُلُودِ في النَّارِ ، لَمْ يُشركوا في الرُّبوبِيَّةِ ، وإنَّما أشرَكوا في الأُلُوهِيَّةِ ، وهُم لَمْ يَقولوا أبدًا إنَّ آلهتَهُم آلهةٌ على سبيلِ الاسْتِقْلالِ ، وإنَّما قالوا : هِيَ وسائِطُ نَتَقَرَّبُ بِها إلَى اللهِ ، وتَتوسَّطُ لَنا عِندَ اللهِ ، فالمشرِكونَ كانُوا يَعبُدونَ آلهتَهُم علَى جِهَةِ القُرْبَةِ ، أو علَى جِهَةِ الشَّفاعَةِ ، و (**يَقُولونَ ما دَعَوْناهُم وتَوَجَّهْنا إِلَيْهِم إلّا لِطَلَبِ القُرْبَةِ والشَّفاعةِ**) فَيَقُولُونَ إنَّ آلهتَهُم تُقَرِّبُهم إلَى اللهِ ، أو تَرْفعُ حَوائِجَهُم إلَى اللهِ ، ولَمْ يَكونُوا يُنكرونَ وُجودَ اللهِ ، ولا أنَّهُ سُبْحانَهُ هُوَ الخالِقُ وهُوَ الرَّزَّاقُ ، وهُوَ المدَبِّرُ للأَمرِ ، ولَمْ يَقولُوا إنَّ آلهتَهُم آلهةٌ على سبيلِ الاسْتِقْلالِ تَصْنَعُ شيئًا مِن ذلِكَ ، وإنَّما قالوا : هِيَ وسَائِطُ نَتَقَرَّبُ بِها إلَى اللهِ ، وتَتوسَّطُ لَنا عِندَ اللهِ ، وقَدْ ذكَرَ اللهُ تَبارَكَ وتَعالَى هذا الذي قالُوهُ وأَشْرَكُوا بِهِ وصَنَعُوهُ .

[ما يَتَعلَّقُ بِالقُربَةِ]

فأمَّا ما يَتعَلَّقُ بِالقُربَةِ : فَقَدْ ذَكَرَ اللهُ رَبُّ العالمينَ ذلِكَ في قولِهِ : ﴿ **وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ** ﴾ أيْ : آلِهَةً ﴿ **مَا نَعْبُدُهُمْ** ﴾ وهذا حَصْرٌ إضافِيٌّ ﴿ **مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ** ﴾ يَعني : ما نَعْبُدُهُم لِعِلَّةٍ مِنَ العِلَلِ ، إلا لأَجْلِ التَّقريبِ ﴿ **مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ** ﴾ فَهذا حَصْرٌ إضافِيٌّ ، يَعني : ما نَعْبُدُهم لِعِلَّةٍ مِن العِلَلِ ، إلا لأَجْلِ التَّقريبِ ، فَحَصَرُوا ما أَرادوا في القُرْبَى والتَّقَرُّبِ إلَى اللهِ ، فَهُم أَرادوا بِذلِكَ مَا عِندَ اللهِ ، إذَنْ هُم اتَّخذوا مِن دُونِهِ أولِياءَ عَبَدوهُم لِيَقَرِّبُوهُم إلَى اللهِ ،

فَما أَرادوا إلَّا اللهَ ، ولكِنَّهُم اتَّخَذُوا تِلكَ الوَسائِطَ لِتُقَرِّبَهم إلَى الله ، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴾[1] فهذا دَليلُ القُرْبَةِ ، لأَنَّهُم قالوا : (ما دَعَوْناهُم وتَوَجَّهْنا إِلَيْهِم إلّا لِطَلَبِ القُرْبَةِ والشَّفاعةِ) .

[ما يَتَعَلَّقُ بِالشَّفاعَةِ]

(وَدليلُ الشَّفاعَةِ : قَولُهُ تعالى : ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾[2]) .

وهُمْ مُعْتَرِفونَ بِأَنَّ وَسائِطَهُم لا تَنفعُ ولا تَضُرُّ ، وإنَّما هِيَ لِلشَّفاعَةِ عِندَ الله ، ولِلوَساطةِ عِندَ الله ، وأَنْتَ خَبيرٌ بِأَنَّ القَبرِيَّ الذي يَعبُدُ الضَّريحَ يَقولُ : هذا الوَلِيُّ أَوْ هذا الرَّجُلُ الصَّالحُ لا يَضُرُّ ولا يَنفَعُ ، هُوَ يُقِرُّ بِهذا ويَقولُ معَ الإِقرارِ بِأَنَّ الوَلِيَّ لا يَنفعُ ولا يَضُرُّ ، يَقُولُ : ولكِنْ أُريدُ مِنهُ الشَّفاعَةَ عِندَ الله ، فَإِنَّهُ أَقْرَبُ مِنِّي إِلَى الله قُربَى وإِنَّما أَتَزَلَّفُ بِذلكَ عِندَ الله ، يَعنِي بِعِبادةِ هذا الرَّجُلِ الصَّالِحِ ، فَأَيُّ فَرْقٍ ؟ وهَلْ يُوجدُ عاقِلٌ يُمكِنُ أنْ يَجِدَ فَرْقًا بَينَ هذا الذي هُوَ مُحْدَثٌ وبَينَ الذي كانَ ؟ أَيُّ فَرْقٍ ؟

إنَّ السَّابِقينَ كانُوا مُعترفينَ بِأنَّ وَسائِطهم لا تَنفَعُ وَلا تَضُرُّ ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ﴾ هُمْ يَعلَمونَ ذلكَ وَيُقِرُّونَ بِهِ ، وَيَقولُونَ معَ أَنَّهُمْ لا يَنْفَعونَ وَلا يَضُرُّونَ ﴿ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾ فَإِذَنْ ؛ يَعْتَرِفونَ بِأَنَّهُمْ

---

(١) سورة الزمر ، الآية : (٣) .

(٢) سورة يونس ، الآية : (١٨) .

لا يَضُرُّونَ ولا يَنفَعونَ ، وَيَعترِفونَ بِأَنَّهمْ إِنَّما عَـبَدوهُمْ لِأجْلِ الشَّفاعةِ عِنـدَ الله ، وَمنْ أَجلِ الوساطةِ عندَ الله ، وأَيْضًا الذي يَتَوجَّهُ إلى الوَليِّ يَسألُه ما لا يُسْأَلُهُ إلّا اللهُ يَقولُ القَولَ عَينَهُ ، فَيَقولُ : أَعلَمُ أنَّه لا يَنفعُ ولا يَضُرُّ ، ولكِنَّهُ رَجُلٌ صالِحٌ وهُو قَريبٌ مِن الله ، فأنا أَتَّخِذُهُ واسِطةً بَيني وبَينَ الله ، لِيَشفعَ لِي عِندَ الله .

الشَّفاعَةُ هِيَ : **التَّوَسُّطُ لِغَيْرِكَ بِجَلْبِ مَنفعةٍ لَهُ أو دَفْعِ مَضَرَّةٍ عنهُ** ، فَهِيَ : **طَلَبُ الخَيرِ لِلغَيرِ** .

كانَ غالِبُ الجاهِلِيِّينَ يَعتقِدونَ أنَّ آلهتَهُم تَتَوَسَّطُ لَهُم عِندَ الله ، وهُم يَعبُدونَها مِن أجْلِ أنْ تَشفَعَ لهم عِندَ رَبِّهِم وهذا اعْتِقَادٌ باطِلٌ لأنَّه افْتِراءٌ علَى الله ، ولَمْ يأمُرْ بِهِ نَبِيٌّ مِن أَنبياءِ الله جَلَّ وعَلا .

[أَنواعُ الشَّفاعَةِ]

ثُمَّ اسْتَطْرَدَ الشَّيخُ رحمهُ اللهُ تعالى لِذِكْرِ الشَّفَاعةِ ، فذَكَرَ نَوعَيها ، فقَالَ رحمهُ اللهُ :

(والشَّفَاعةُ شفاعَتانِ : شَفاعةٌ مَنْفِيَّةٌ وشَفاعَةٌ مُثْبَتَةٌ ، فَالشَّفاعةُ المَنْفِيَّةُ : مَا كانَتْ تُطلَبُ مِن غَيرِ الله فِيما لا يَقدِرُ علَيهِ إلّا اللهُ ، والدَّليلُ قولُ الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خُلَّةٞ وَلَا شَفَٰعَةٞۗ وَٱلۡكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾[1] والشَّفَاعةُ المثْبَتَةُ : هِيَ الَّتي تُطْلَبُ مِن الله . والشَّافِعُ مُكَرَّمٌ بِالشَّفاعةِ ، والمَشْفُوعُ لَه : مَن رَضِيَ اللهُ قولَه وعَمَلَه بَعدَ الإذْنِ ، كَما قالَ اللهُ تعالى :

---

(١) سورة البقرة ، الآية : (٢٥٤) .

﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ﴾)[1] .

فالشَّفاعةُ شفاعَـتانِ :

* **مَنفِيَّةٌ** : وهِي الَّتِي نَفاها القُرآنُ ، وهِي الَّتِي تُطلَبُ بِغَيرِ إِذنِ الله ، أوتُطْلَبُ لمشرِكٍ .
* **والشَّفاعةُ المثْبَـتَةُ** : وهِي الَّتِـي أَثْبَـتَها القُرآنُ ، هِي الَّتِـي تُطْـلَبُ بِإِذن الله لأَهلِ التَّوحيدِ .

[مَعنَى الشَّفاعَـةِ]

والشَّفَّاعةُ فِي اللُّـغَـةِ : جَعْلُ الوَتْـرِ شَفْــعًا ، قـالَ تعـالى : ﴿ وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ ﴾ [2].

والشَّفاعةُ فِي الاصْطِلاحِ : هِي التَّوَسُّطُ لِلغَيرِ بِجَلْـبِ مَنْفعـةٍ أو دَفْـعِ مَضرَّـةٍ ، فهِـي طَلَبُ الخَيرِ لِلغَيرِ .

[شُرُوطُ الشَّفاعَـةِ الـمُثبَـتَةِ ، ودَليلُها]

وشُروطُ الشَّفاعةِ ثَلاثَـةٌ :

* إذنُ الله تعالَى بِها .
* ورِضاهُ عن الشَّافعِ .
* ورِضاهُ عن المشْفُوعِ لَهُ .

فَهـذِهِ ثَـلاثَـةُ شُـرُوطٍ ، وَقَدْ جَمـعَـها اللهُ تعالى في آيَـةٍ واحِـدةٍ ، فــقالَ سُبـحَـانَــهُ :

﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ

---

(١) سورة البقرة ، الآية : (٢٥٥) .

(٢٠) سورة الفجر ، الآية : (٣) .

﴿ وَيَرۡضَىٰٓ ﴾[1] ؛ فقولُهُ تعالى : ﴿ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ ﴾ هـذا إذنـهُ تعـالى بِالشَّـفاعةِ ، وقولُهُ سبحانَهُ : ﴿ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ ﴾ هو رِضاهُ عنِ الشَّافعِ والمشفوعِ لهُ ، لِأَنَّ حذْفَ المعمولِ يدلُّ عَـلى العُمـومِ ، ﴿ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ ﴾ ، فَجَمَعَـت الآيةُ شُروطَ الشَّفاعةِ الـثَّلاثَـةَ : وهيَ إِذْنُ الله تعـالى بِالشَّـفاعةِ ، ورِضَى رَبِّنـا تَبـارَكَ وتَعالى عن الشَّافعِ ورِضَى رَبِّنا تَبارَكَ وتَعالى عن المشْفوعِ لَهُ ، والشَّفاعَةُ التِي تَوفَّرَتْ فيها هذه الشُّروطُ هِي المثْبَتةُ الصَّحيحةُ ، فالشَّفاعةُ لها شُروطٌ ولَيْسَتْ مُطْلَقةً .

[الشَّفاعَـةُ الـمَنْـفِـيَّـةُ]

الشَّفاعةُ بِغيرِ إِذْنِهِ مَنْفيةٌ ، ولا أَحدَ يَشفعُ عِنْدهُ إِلَّا بإِذنِـهِ .

وأَفضلُ الخَلقِ وخاتَمُ النَّبيينَ ، نَبيُّنا صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ إِذا أرادَ أنْ يَشفعَ لِأهلِ الموقفِ خَرَّ ساجدًا بينَ يَدَيْ رَبِّـهِ يَدعوهُ ويَحْمَدُهُ ويُثْـني علَيْـهِ ويُمَجِّـدُهُ ، ولا يزالُ كذلكَ حتَّى يُؤذَنَ لهُ : " **ارْفَعْ رَأْسَكَ ، وقُلْ تُسْمَعْ ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ** " كما أَخـرجَ ذلكَ عنهُ صَلَّى اللهُ علَيـهِ وعلَى آلِهِ وسَلَّمَ الشَّيْـخَانِ في صَحيحَيْـهِما[2] فَلا شَـفَاعةَ إِلَّا بَعدَ إذنِ الله تعالى .

الشَّفاعةُ عندَ الله يجـبُ أنْ تُطْلبَ منهُ مُباشرةً ، بِأَنْ يقولَ طالبُ الشَّـفَاعةِ مثَـلًا : اللَّهمَّ شفِّعْ فِيَّ نبيَّكَ محمَّدًا صلَّى اللهُ عليهِ وعلَى آلِه وسَلَّمَ .

---

(١) سورة النَّجم ، الآيـة : (٢٦) .

(٢) أخرجه البُخاريُّ (٧٥١٠) ومسلم (١٩٣) من حديثِ أنسٍ بنِ مالكٍ رضي اللهُ عنهُ .

ولا تَتحقَّقُ الشَّفاعةُ عندَ الله إلَّا بِشرطَيْنِ : رضاهُ تعالَى عن الـمَشفُوعِ لـهُ ، وعـن الشَّافعِ ، وإذنُهُ للشَّافِعِ أنْ يشفَعَ .

طلبُ الشَّفاعةِ منَ الأَوثانِ أَو منْ أَصحابِ القبورِ ، بِالاتِّجاهِ إِليهِم بِالدُّعاءِ وطلَبِ الشَّفاعةِ باطلٌ ، وهُوَ مِن الشِّركِ بالله تعالى .

في قَبولِ الشَّفاعةِ : إكرامُ من الله للشَّافعِ ، وإظْهارٌ لِفَضلِه ، ونَفْعٌ لِلْمَشفُوعِ لهُ .

[خُلاصةُ ما في القاعِدةِ الثَّانيـةِ]

فالقاعدةُ الثَّانِـيةُ ـ منَ القَواعدِ الأربَعِ ـ : أنَّ الـمُشْركينَ الَّذينَ سمَّاهمُ اللهُ وحكَـمَ عليهِم بالخلُودِ في النَّارِ كانوا يُـقِـرُّونَ بِأَنَّ آلهتَهـم لا تَخْلقُ ولا تَرزقُ معَ الله ، وأنَّهم إنَّما اتَّخذُوا آلِهَـتَهم لِتُـقَـرِّبَهم إِلَى الله ، ولِتشفعَ لَهُم عندَ الله ، ولمْ يَنفَعْهم إقرارُهُم بِتَـوْحيـدِ الرُّبوبيَّـةِ شيئًا ، معَ صرْفِهم ما صَرَفُوهُ من العـبَادةِ لغيرِ الله .

فَفي هذهِ القاعدةِ شُبْهةُ أولئكَ الكفَّارِ الَّذينَ ذَكروها ـ أيْ : تلكَ الشُّبهةِ ـ في عهدِ النُّـبُـوَّةِ ، و وَرِثَها مَن خلْفَهم : ﴿ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ ﴾ ؛ ما عبَدْناهم إلَّا ليَـكُونوا وُسطاءَ بَيْنـنَا و بينَ ربِّنا يَشْفعونَ لنا عندَهُ ، وهذهِ شُبْهةُ الكفَّـارِ في عهـدِ النُّـبُوَّةِ ، وقدْ ورِثها مَن خَلْفَهم .

وفي هذهِ القاعدةِ بيانٌ أنَّهُ لا حاجةَ إلى الوَسائِطِ الـمُحرَّمةِ لجَلْبِ الـمَصالحِ ودفْعِ الـمَضارِّ بنَصِّ الكِـتَابِ والسُّنَّـةِ ، بلْ يَتَوجَّهُ العبدُ إلى ربِّـهِ .

القاعدة الثالثة

مِن القَـوَاعِدِ الأربَـعِ :

(أنَّ النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وعلَى آلِه وسَلَّمَ ظَهرَ على أُناسٍ مُتفَـرِّقِـينَ في عِباداتِهِم : منهُم من يَعْـبُدُ الملائكةَ ، ومنهُم من يَعْـبُدُ الأَنْبـيَاءَ والصَّالحينَ ، ومِنهُم مَن يَعْـبُدُ الأَشْجَارَ والأَحْجارَ ، ومنهُم مَن يَعبدُ الشَّمسَ والقمرَ ، وقاتَلَهُمْ رَسولُ الله صلَّى اللهُ علَيه وعلَى آلِه وسلَّمَ ، ولمْ يُـفَـرِّقْ بَينهُم ، والدَّليلُ قَول الله تعالى : ﴿ وَقَـٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ﴾)[1] .

[مِن الـمُشْرِكينَ مَن كانَ يعبدُ الشَّمْسَ والقَمَرَ]

(ودليلُ الشَّمسِ والقَـمَرِ ، قولهُ تعـالى : ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ ﴾)[2] .

فدلَّ على أنَّ هناكَ من يسجدُ للشَّمسِ والقمرِ ؛ ولِأَجلِ ذلكَ نهى الرَّسولُ صلَّى اللهُ علَيـهِ وعلَى آلِـهِ وسَلَّمَ عنِ الصَّلاةِ عندَ طلُوعِ الشَّمسِ وعندَ غروبِها ، المشركُونَ الَّـذينَ يعبُدونَ الشَّمسَ ينبَغي أنْ يخالِفُهم المسلمونَ الموَحَّدونَ ، والصَّلاةُ في هذينِ الـوقتَيْنِ فيها مُشابَهَةٌ لِلمُشركينَ ﴿ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾[3] .

---

(١) سورة الأنفال ، الآيـة : (٣٩) .

(٢) سورة فُصِّلَتْ ، الآيـة : (٣٧) .

(٣) سورة فُصِّلَتْ ، تكملةُ الآية السَّابقةِ .

[ومِنهُم مَنْ كَانَ يعبُدُ الـمَلَائِكةَ]

(ودليلُ الملائكةِ قولُه تعالَى : ﴿ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا ﴾)[1] ؛ فَدلَّ علَى أنَّ هُـنَاكَ مَنْ عَـبَدَ المـلَائِـكةَ و النَّبـيِّـينَ ، وأنَّ ذلِكَ شِـرْكٌ .

[الـمَقْصُودُ مِن هذه الـقَاعِدةِ]

في القاعدةِ الثَّالثةِ مَعرفةُ حالِ العَربِ الَّذينَ بُعِـثَ فيهم رسولُ الله صلَّى اللهُ عليـهِ وعلَى آلِه وسَلَّمَ ، فقَدْ كانَ منهُم مَنْ كانَ يعبدُ الملائِكةَ ، وكانَ منهُم مَنْ يعبُدُ الشَّمْسَ والقمرَ ، وكانَ منهُمْ منْ يَعبُدُ الأَصْنَامَ والأَحْجارَ والأَشْجارَ ، وكانَ مِنهُم مَن يَعْــبُدُ الأَولِـيَاءَ والصَّالحينَ ومَنْ ظَـنُّوا بهِمُ الصَّلاحَ .

وأهلُ الشِّركِ أهواؤُهُم مُتَفَرِّقَةٌ ، لا يَجْتَمِعُونَ علَى شيءٍ ، ومعَ أنَّهم كانوا مُختلِفـينَ فَرَّقَ بَينَهُم الهَوَى ، فَعَبَدوا ما عَبَدوا ومَن عَبَدوا ، وتكاثَـرَتْ اتِّجاهاتُهُم ، معَ كُلِّ ذلِكَ قاتَلَ النَّبِيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وعلَى آلِه وسَلَّمَ المشرِكينَ ولم يُفَرِّق بينَهُم ، قاتَـلَ الـوثَنيِّينَ ، وقاتَلَ اليَهودَ ، وقاتَلَ النَّصارَى ، وقاتَلَ الـمَجُوسَ وقاتَلَ جميعَ المشرِكينَ ، وفي هذا : أنَّه لا فَـرْقَ بَينَ الَّذي يَعْـبُدُ الصَّنَمَ و الَّذي يَعْـبُدُ رجُلًا صالِـحًا أَو يَعْـبُدُ ملَــكاً مِـن الملائِكةِ ؛ فالرَّسولُ صلَّى اللهُ عليـهِ وعلَى آلِه وسَـلَّمَ لم يُفَـرِّقْ بَيـنَهُم ، فالَّـذين عَبَـدوا المسيحَ عليـهِ السَّلامُ حارَبَهُم ، والَّذينَ عَبَدوا عُزَيْـرًا عليـهِ السَّلامُ حارَبَهُم ، و الَّذينَ عَبَدوا الأَحْجارَ و الأَشْجارَ حارَبَهُم ، بِلا تَفْريقٍ ، فالشِّرْكُ لا تفرِيقَ فيـهِ بَينَ مَن يَعبُدُ

---

(١) سورة آل عمران ، الآيـة : (٨٠) .

رجُلًا صالحًا ومَن يَعْبُدُ صَنَمًا ، أو يَعْبُدُ شَجَرًا ، قالَ تعالى : ﴿ وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ﴾ [1] ، و ﴿ شَيْـًٔا ﴾ نكِرةٌ في سِياقِ النَّهْيِ فهِي مُفيدَةٌ للعُمُومِ .

والدَّليلُ علَى قِتَالِ المشرِكينَ مِن غَيرِ تَفرِيقٍ بَينَهُم علَى حَسَبِ مَعْبُوداتِهِم قولُه تعالَى : ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ﴾ [2] ؛ فَقَولُهُ تعالى : ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ ﴾ دَلِيلٌ علَى قِتَالِ المُشرِكينَ مِن غَيرِ تَفرِيقٍ بَينَهُم علَى حَسَبِ مَعْبُوداتِهِمْ ، فقَولُه تعالى : ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ ﴾ عامٌّ لِكُلِّ المشرِكينَ لم يَسْتَثْنِ رَبُّنَا أحَدًا ﴿ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ ﴾ الفِتْنَةُ : الشِّرْكُ ، أَيْ : حتَّى لا يُوجَدَ شِرْكٌ بَيْنَهُم ، فَإِنَّهُ يقصِدُ أَيَّ شركٍ ، ﴿ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ ﴾ حتَّى لَا يَكُونَ شِركٌ أيُّ شِركٍ ، ﴿ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ ﴾ وتَكُونَ العِبَادةُ كلُّها لله .

هذِهِ القَاعِدةُ الثَّالثَةُ فيهَا : أَنَّهُ لَيسَ في الكَونِ مَعبُودٌ بِحَقٍّ إلَّا اللهُ ، وفِيهَا : أَنَّ الكُفرَ مُتنَوِّعُ الآلهةِ ، فمِنهُ عِبَادةُ الأصنَامِ والشَّمْسِ والقَمرِ والملائِكةِ والجِنِّ ونَحوِ ذلِكَ ، والعَابِدُونَ لهذِهِ الآلهَةِ أو بَعضِها كُفَّارٌ ، فالكُفرُ مِلَّةٌ واحِدَةٌ ، و لهذا لم يُفَرِّقِ الرَّسولُ صلَّى اللهُ عليهِ وعلَى آلِه وسَلَّمَ في دَعوتِهِ ، و لم يُفَرِّقْ بَينَهُم في جِهادِهِ .

[ومِنهُم مَن كانَ يعبُدُ الأَنبِياءَ]

(ودَليلُ الأَنبياءِ قولُهُ تَعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى

---

(1) سورة النساء ، الآيـة : (٣٦) .

(2) سورة الأنفال ، الآيـة : (٣٩) .

وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴾)[1] .

في الآيةِ بيانُ أنَّ الأنبياءَ والصَّالحينَ لا يَدعونَ النَّاسَ إلى عِبادةِ أَنفُسِهِم ، ولا إلَى الغُلُوِّ فيهِم ، ولا إلَى طَلَبِ قَضاءِ الحاجاتِ مِنهُم ، حاشاهُم ، وكُلُّ صالحٍ عُبِدَ مِن دُونِ الله فإنَّه يَتَبَرَّأُ مِن أُولئِكَ العابِدينَ ، ولا يَعتَرِفُ بِعِبادَتِهم ، و لا يَلْحَقُهُ شَيءٌ مِن المَآثِمِ التِي اقْتَرفُوها ، فَالآيَةُ دَليلٌ علَى أنَّ عِبادةَ الأنبياءِ شِركٌ ، وفيها رَدٌّ علَى مَن فَرَّقَ في ذلِكَ بَينَ المعبوداتِ ، وفيها رَدٌّ علَى مَن زَعَمَ أنَّ الشِّركَ مَقصُورٌ علَى عِبادَةِ الأصْنَامِ فَقَطْ ، فإنَّ مِن الشِّركِ عِبادةَ الأنبياءِ وعِبادةَ الصَّالحينَ ، وقد دَلَّت الآيَةُ علَى أنَّ عِبادةَ الأنبياءِ شِركٌ ، وفيها رَدٌّ علَى مَن زَعَمَ أنَّ الشِّركَ مقصورٌ علَى عِبادةِ الأصنامِ فَقَطْ ، وكثيرٌ مِن المسلمينَ يَقولونَ أنَّه مَضَى الزَّمانُ الذي تُعبَدُ فيهِ الأصنامُ ، وما عَلِمُوا أنَّ الشِّركَ لهُ ضُروبٌ وأَلوانٌ .

[ومِنهُم مَن كانَ يعبُدُ الصَّالِحِينَ]

(ودَليلُ الصَّالحينَ قولُهُ تَعالى : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ﴾)[2] ، الوَسِيلَةُ هُنَا في قَوْلِهِ تَعالَى : ﴿ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ ﴾ هِيَ الطَّاعةُ والقُرْبةُ .

---

(١) سورة المائدة ، الآيـة : (١١٦) .

(٢) سورة الإسراء ، الآيـة : (٥٧) .

[معنَى الوَسِيلَةِ ، وما يُـشْرَع مِنها]

والوَسِيلةُ في اللُّغةِ : الشَّيءُ الَّذي يُتَوَصَّلُ بِـهِ إلَى المقْصودِ ، فالَّذي يُوصِلُ إلَى رِضَى الله وجَـنَّـتِه هُوَ الوَسيلَةُ إلَى الله ، وهذِهِ هِيَ الوَسيلَةُ المشْرُوعَةُ في قولِه تعالَى : ﴿ وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ ﴾[1] .

[الوَسِيلَـةُ الـمَمْـنُوعةُ]

التَّوسُّلُ بالمخلُوقينَ وَسيلَةٌ ممنوعةٌ شِركِيَّةٌ ، ومِن الشِّركِ أنْ يَجْعَلَ الإنسانُ بَينهُ وبَينَ الله تعالى وَسائِطَ مِن الأولياءِ والصَّالحينَ والأمواتِ ، وقد دَلَّت الآيةُ علَى أنَّ الـذينَ يَعبُدُهُم المشْرِكونَ هُم عابِدونَ لله ، يتقَرَّبونَ إلَى الله ويَرجونَ رحمتَهُ ويَخَافونَ عذابَـهُ ، كالمسيحِ وأُمِّهِ وعُزَير ، هُم عِبادٌ مُحتاجونَ إلَى الله ، مُفتقِرونَ إليَهِ ، يَدعونَهُ ويَتَوَسَّلونَ بالطَّاعاتِ إلَيهِ ﴿ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ ﴾ وأمَّا المشْرِكونَ فإنَّهم عَبَدوهُم مِن دُونِ الله ، ومَن عَبَدوهُم مِن دُونِ الله تعالَى هُم أَنْفُسُهُم عابِدونَ لله ، يتقَرَّبونَ إلَى الله ويَرجونَ رحمتَهُ ويَخَافونَ عذابَهُ ، ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ﴾[2] .

كانَ نَفَرٌ مِن الإِنسِ يَعبُدونَ نَفَرًا مِن الجِنِّ ، فأَسْلَمَ الجِنُّ وصارُوا يَعبُدونَ اللهَ ، ويُخلِصونَ العِبَادةَ لله ، وبَـقِيَ الَّذينَ عَبدُوهُم مِن الإِنْسِ علَى عِبادَتِهِم لَـهُم ، فَصَارَ

---

(١) سورة المائدة ، الآيـة : (٣٥) .

(٢) هذا هو أحدُ قولَي المفسِّرين في مَن نزلَتْ فيه هذه الآيـةُ ، أنَّها نزلتْ في مَن عَبَدَ المسيحَ وأمَّـه وعُـزَيْرًا ، انْـظر : =

المعبُودونَ عابِدينَ لله تَبَارَك وتعالَى ، وبَقِيَ مَن كانوا علَى عِبَادتِهم علَى عِبَادتِهم قائِمينَ [1] .

الآيةُ تَدُلُّ علَى أنَّه لا يجوزُ أنْ تُصرَفَ العِبادةُ للصَّالحينَ ، سَواءٌ كانوا مِن الأنبياءِ والصِّدِّيقينَ ، أو مِن غَيرِهم مِن الأولياءِ والصَّالحينَ ، لأنَّ الكُلَّ مُفتَقِرٌ إلَى الله عِبادٌ لله .

في الآيَةِ : دليلٌ على أنَّ هناك مَن يَعبدُ الصَّالحينَ .

[ومِنهُم مَن كانَ يعبُدُ الأَشجارَ والأحجارَ]

ثُمَّ ذَكَرَ الشَّيخُ رحمهُ اللهُ تعالى (دَليلَ الأشجارِ والأحجارِ) وهُوَ (قولُهُ تَعالَى : ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴾) [2] .

﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ﴾ : استِفْهامُ إنكارٍ للتَّوْبِيخِ ، ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴾ فَذَكَرَ :

* اللَّاتَ ـ بالتَّخفيفِ ـ : صَنَمٌ في الطَّائِفِ ، عِبارَةٌ عَن صَخرَةٍ مَنقُوشَةٍ ، علَيها بَيتٌ مَبْنِيٌّ وعلَيهِ سَتَائِرُ يُضاهُونَ بِهِ الكَعبَةَ ، وعِندَهُ سَدَنَةٌ .

وقُرِئَتْ ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ اللَّاتَّ ﴾ ـ بالتَّشديدِ ـ [3] : هو اسْمُ فاعِلٍ مِن لَتَّ يَلُتُّ ،

= شرحَ الشَّيخِ صالحِ الفَوزانَ حفظه الله تعالَى علَى متنِ القَواعِدِ الأربعِ (ص : ٣٤٩) من سِلْسِلةِ شرحِ الرَّسائِلِ .

(١) هذا هُو القَولُ الثَّاني في الآيَةِ ، انظُرْ : المصدرَ السَّابِقَ .

(٢) سورة النَّجمِ ، الآيَتان : (١٩ـ٢٠) .

(٣) هيَ قِراءة يعْقُوبَ الحضْرَميِّ بِروايَةِ رُوَيْسٍ عَنه ، انظرْ : المُيسَّرَ في القراءاتِ الأربعَةَ عشرَ لِلشَّيخِ محمَّد فهد خروف بمراجعة الشيخ كُرَيِّم راجح ، انظر : (ص: ٥٢٦) .

وهُوَ رَجُلٌ صالِحٌ كانَ يَلُتُّ السَّوِيقَ [1] لِلحُجَّاجِ ، فلَمَّا ماتَ بَنَوا علَى قَبرِهِ بَيْتًا وأَرْخَوا علَيهِ السَّتائِرَ ، وصاروا يَعبُدونَهُ مِن دُونِ الله تَعَالى .

* والعُزَّى : شَجَراتٌ مِن السَّلَمِ في وادِي نَخْلَةَ بَينَ مَكَّةَ والطَّائِفِ ، حَولهَا بِناءٌ وسَتَائِرُ ، وعِندَهَا سَدَنَةٌ ، وفِيها شَياطِينُ يُكَلِّمُونَ النَّاسَ مِن داخِلِها [2] .

* وأَمَّا مَنَاةُ : فَهِي صَخرةٌ كبيرَةٌ في مَكانٍ يَقعُ قَرِيبًا مِن جَبَلِ قُدَيْد بَينَ مَكَّةَ والمدِينَةَ ، وكانَتْ لِخُزَاعَةَ والأَوْسِ والخَزْرَجِ .

هذِهِ الأصنامُ المذكورَةُ هِيَ أَكبرُ أصنامِ العَرَبِ ، قالَ تعالى : ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ۝١٩ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴾ هَلْ أَغْنَتْ عَنكُم شَيئًا ؟ هَلْ نَفعَتْكُم أو نَصرَتْكُم أو دَفَعتْ عنكُم ؟ [3]

---

(١) قال الأستاذُ محمود شاكر رحمهُ اللهُ تعالى : (السَّوِيق : ما يُتَّخذُ مِن الحِنْطَةِ والشَّعيرِ ، يكونُ طعَامًا ويكونُ ثريدًا ، ويُجعلُ شَرابًا ... سُمِّي بذلك لانسياقِهِ في الحلْقِ ، وأظنُّ أنَّه (القَمحِيَّةُ) المعروفةُ اليومَ في شَمالِ سُوريَّة) اهـ ، انظر : مُعجَم محمُود شاكر (ص: ١٦٥) .

(٢) قَالَ الشَّيخُ صالحٌ الفَوزان حفظهُ اللهُ تعالى في شرحِه (ص:٣٥٤) : (ويَظُنُّ الجهَّالُ أنَّ هذا الذي يُكلِّمُهم هو نَفْسُ هذه الشَّجَراتِ أو هذا البيتِ الَّذي بَنوهُ ، معَ أنَّ الذي تُكلِّمُهم هي الشياطينُ لِتُضِلَّهم عن سبيلِ الله) اهـ .

(٣) قَالَ الشَّيخُ صالحٌ الفَوزان حفظهُ اللهُ في شرحِه (ص:٣٥٥) : (ولـمَّا جَاءَ اللهُ بِالإسلامِ وفَتحَ رسولُ الله صلَّى اللهُ عليه وعلَى آلِه وسَلَّمَ مكَّةَ المُشرَّفة ، أرسلَ المغيرةَ بنَ شُعبةَ وأبا سفيانَ بنَ حَرْبٍ رضي الله عنهما إلى (اللَّات) في الطَّائفِ فهدماها بأمرِ رسولِ الله صلَّى اللهُ عليه وعلَى آلِه وسَلَّم ، و أرسلَ خالدَ بنَ الوليدِ رضي الله عنه إلى (العُزَّى) فهدمَها وقطعَ الأشجارَ وقتَلَ الجِنيَّةَ الَّتي كانت فيها تُخاطبُ الناسَ وتُضلُّهم ومَحاها عَن آخِرها والحمدُ لله ، وأرسلَ عليَّ بنَ أَبي طالبٍ رضي الله عنه إلى (مَناة) فهدمَها ومَحاها ، وما أنقذَتْ نفسَها فكيف تُنقِذُ أهلَها وعُبّادها ؟ ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ۝١٩ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴾ أينَ ذهبتْ ؟ هل نفعَتْكم ؟ هل منعتْ نفسَها مِن جُنودِ الله ؟) اهـ .

والآيـةُ معَ أُختِهَا دَليلٌ علَى أنَّ هُناكَ مَن يَعبُدُ الأشجارَ والأحجارَ .

قالَ الشَّيخُ رحمهُ اللهُ تعالى : (**وحَدِيثُ أَبِي واقِدٍ اللَّيثِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ : خَرَجْنَا معَ النَّبِيِّ صلَّى اللهُ علَيهِ وسَلَّمَ إلَى حُنَينٍ ، ونَحْنُ حُدَثَاءُ عَهْدٍ بِكُفرٍ ، ولِلمُشرِكينَ سِـدرَةٌ يَعْكُفونَ عِندَها ، ويَنُوطُـونَ بِهَا أَسْلِحَتَهُم ، يُقـالُ لَهَا : ذَاتُ أَنْواطٍ ، فمرَرْنَا بِسِـدرَةٍ فقُلنا : يا رسولَ الله ، اجْعَلْ لَنا ذَاتَ أَنواطٍ كَما لهم ذَاتُ أَنواطٍ**) .

قالَ النَّبِيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّم : " **اللهُ أكبَر ، إنَّهَا السُّنَنُ ، قُلْتُم والَّذي نَفْسِي بِـيدِهِ كما قالَتْ بَنُو إسْرَائيلَ لموسَى : ﴿ اجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾** " (١)

أَخرجَهُ أَحمدُ والتِّرمذِيُّ وابنُ أَبِي عاصِـمٍ وابـنُ حِبَّـانَ ، وقـالَ التِّرمـذِيُّ : (**حَـدِيثٌ حَسنٌ صحيحٌ**) وصحَّحهُ ابنُ حَجَر في الإصابَـةِ ، وصحَّحهُ الألبَانِيُّ (٢) .

والأَنْواطُ : جمعُ نَوْطٍ ، وهوَ التَّعليـقُ ، أيْ : هـيَ شـجرةٌ ذاتُ تعـاليقَ ، يعلِّقـونَ بهـا أسلحَتَهم للتَّبرُّكِ بها ، قالوا : (**اجْعلْ لنا ذاتَ أنواطٍ كما لهم ذاتُ أنواطٍ**) وهذهِ بَليَّـةُ التَّقليدِ والتَّشبُّهِ ، وهيَ منْ أعظمِ البلَايا ، و " **مَنْ تَشبَّـهَ بقَومٍ فهُـو مـنهُمْ** " (٣) ، وقـدْ تعجَّبَ النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم ، واسْتنكرَ ما قالوهُ ، وقالَ : " **إنَّهـا السَّـنَنُ** " أَيْ :

---

(١) سورة الأعراف ، الآيـة : (١٣٨) .

(٢) الحديث عند أحـمَد (٥/ ٢١٨) ، والتِّرمذي (٢١٨٠) ، وابن أبي عاصـم (٧٦) ، وابن حِـبَّان (٦٧٠٢) ، وصحَّحه ابن حجر في الإصابة (٤/ ٢١٦) ، والألبانيُّ في ظـلال الجنَّـة في تخريج كتاب السنَّـة (ص : ٥٤) .

(٣) أخرجه أبوداود (٤٠٣١) ، قال ابن حجر رحمه الله تعالى في بلُوغ المرام : (**صحَّحهُ ابنُ حِبَّان**) اهـ ، وقال الصَّنْعاني رحمه الله تعالى في السُّبُـلِ (٤/ ٥١٤) : (**له شواهدُ عندَ جماعةٍ من أئـمَّةِ الحديثِ عن جماعةٍ مِن الصَّحابـةِ تُخرِجُه عن الضَّعفِ**) اهـ ؛ فالحديثُ حَسَنٌ لِغيره .

هيَ السُّبُلَ الَّتي يسلُكُها النَّاسُ ، ويقتَدي بعضُهم ببعضٍ فيها ، و قَدْ قالَ منْ قالَ كما قالَتْ بنُو إسرائيلَ لِـمُوسَى : ﴿ ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ﴾ ، فَـقالَ مُوسى علَيـهِ السَّلَام : ﴿ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ۝١٣٨ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ ﴾ أَيْ : مُهلَكٌ ﴿ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ ؛ لِأَنَّـهُ شِرْكٌ ﴿ قَالَ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [١] فالتَّـبرُّكُ بالأشجارِ و العُكُوفُ عندَها شِركٌ ، والعُكُوفُ : البَـقَاءُ في الـمَكَانِ ، و يجبُ أنْ ينتبهَ النَّاسَ إلى خطرِ الجهلِ بالتَّوحيدِ ، لِأنَّ منْ جَهلـهُ وقـعَ في الشِّركِ لا مَحالةَ ، ومَنْ جَهِلَـهُ تَشبَّـهَ بأهلِـهِ لا مَحالَـةَ ، قالَ أبُو واقِـدٍ رضيَ اللهُ عـنـهُ : (**خرَجنا معَ النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم إلى حُنينٍ ، ونحنُ حُدثاءُ عهدٍ بكفرٍ**) فـأرادوا أَنْ يَتَـشبَّهوا بهم لِأنَّهم لم يعلَموا الحكمَ ، فيَـجبُ أَنْ يتَـنبَّـهَ النَّـاسُ إلى خطـرِ الجهـلِ بالتَّوحيـدِ ؛ لِأَنَّ مَن جهِلَـهُ وقَـعَ في الشِّركِ لا مَحالَـةِ ، ومَن جهِلَ الـتَّوحيدَ وجهِـلَ الشِّركَ تشبَّـهَ بأهلِـهِ أرادَ أمْ لم يُـرِدْ .

الأنبياءُ والصَّالحونَ لا يُـقِرّونَ عبادةَ النَّاسِ لهم ، بلْ يتبرَّؤُونَ مِمَّنْ عبَدوهم ، والَّـذينَ عبدُوا عيسى عليهِ السَّلامُ وأمَّهُ ، والَّذينَ يَعبدونَهُما إنَّما افترَوْا ذلكَ مِنْ أنفسِهِم ، فلَـم يأمُرهُم اللهُ بذلِكَ ولا بِهِ أمَرَهم عِيسَى عليهِ السَّلامُ ، والأنبياءُ والصَّالحونَ مُحتـاجونَ إلَى الله ، يَتقَرَّبونَ إلَيهِ بِالعملِ الصَّالحِ ، فكَـيْفَ يُعْـبَدونَ مِن دُونِ الله وهُم عابِـدوهُ ، والتَّبَرُّكُ بالأشجارِ والأحجارِ وقُبورِ الصَّالحينَ شِركٌ بِالله العَلِيِّ الغفَّارِ ، والبَرَكَةُ الَّتي

---

(١) سورة الأعراف ، الآيتان : (١٣٩ـ١٤٠) .

يَعتَـقِدُها المشرِكونَ في الأحجارِ والأشجارِ والقُـبُورِ والـمَنامات ما هِيَ إلَّا أَوْهامٌ لا حقيقةَ لها ، فَهِيَ مُجَـرَّدُ أشجارٍ وأحجارٍ وقُبُورٍ عاديَّـةٍ ، ولهَذا قالَ سُبحانَهُ : ﴿ إِنْ هِيَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ﴾[1] .

ثُمَّ ذَكَرَ الشَّيخُ رحمهُ اللهُ تَعَالَى :

القـاعـدة الـرابـعـة :

مِن القَواعِدِ الأَربَع ، وهِيَ في بَيانِ غِلَظِ شِركِ أَهْلِ هذا الزَّمانِ ، فقَالَ رحمهُ اللهُ تَعَالى :

(القَاعدةُ الرَّابعةُ : أنَّ مُشرِكِي زمانِـنَا أغلَظُ شِركًا مِن الأَوَّلِينَ ؛ لأنَّ الأَوَّلِينَ يُشرِكونَ في الرَّخاءِ ، ويُخلِصونَ في الشِّدَّةِ ، ومُشرِكو زمانِنَا شِركُهُم دائِـمٌ في الرَّخـاءِ والشِّـدَّةِ ، والدَّليلُ قولُ الله تعالى : ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴾[2]) .

[شِركُ المتأخِّرينَ أَغْلَظُ مِن شِركِ المتقدِّمينَ]

فحَاصِلُ هَـذِهِ القاعِدةِ : أنَّ المشرِكينَ في عَصْرِ المصَنِّـفِ وبَعْدَهُ أَغلَـظُ شِركًـا مِـن الأَوَّلينَ ، والسَّبَبُ في ذلكَ أنَّ الـمُشرِكينَ الأَوَّلِـينَ كانُوا يُشرِـكونَ في الرَّخـاءِ ، فـإذا وَقَـعُوا في الشِّـدَّةِ أَخْلَصُوا ، وأمَّا الآخِـرُونَ فإنَّهم يُشْـرِكونَ في الرَّخاءِ وفي الشِّـــدَّةِ ،

---

(١) سورة النجم ، الآيـة : (٢٣) .

(٢) سورة العنكبوت ، الآيـة : (٦٥) .

لا يُفَـرِّقونَ ، قالَ تعالى في وَصْفِ الأَوَّلِينَ : ﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴾ [1] وقالَ تعالى : ﴿ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ [2] ؛ فَالأَوَّلُونَ يُشرِكونَ في الرَّخاءِ يَدعونَ الأصنامَ والأَوْثانَ والأحجارَ ، ويَعْـبُدونها في حالةِ الرَّخاءِ ، وإذا وَقَـعُوا في الشِّدَّةِ لا يَـدعُونَ صنمًا ولا حجَرًا ، ولا مخلُوقًا ولا شجَـرًا ، وإنَّما يَدعونَ اللهَ وحدَهُ ، وأمَّا المـتَأَخِّرونَ فإنَّهُم مُستَمِرٌّ بهم شِركُهُم في حالِ رَخائِـهِم وفي حالِ شِدَّتِهِم ، فإذا اشْـتَدَّ بِهِـم الأمـرُ دَعَوا عبدَ القادرِ والرِّفاعِيَّ والبَدَوِيَّ وغيرَهُم .

[فَرقٌ آخَرُ بَينَ شِركِ المتقدِّمينَ وشِركِ المتأخِّرينَ] [3]

وهُنا فَرقٌ آخَر : الأَوَّلُونَ كانوا يَعْـبُدونَ صالِحِينَ مِن الملائِكـةِ والأنبيـاءِ والأوليـاءِ ، وأمَّا المتأخِّرونَ فَفِي جُملَةِ مَن يَدعُونَ ويَعبُدونَ : أُناسٌ مِن أَفجَـرِ النَّـاسِ ومِـن أَكفَـرِ الخَلْقِ ، ومعَ ذلِكَ يَعبُدونَهُم ويَتَـوَسَّلُونَ بِهم ، ويَستغِيثُونَ بِهم ، ومِن هَؤلاءِ مَن كـانَ مِن أَفجَرِ الخَلْقِ كالحَلَّاجِ وابْنِ عَرَبِي وابْنِ سَبعينَ والبَدَوِيِّ وغَيرِهِم [4] .

---

(١) سورة الإسراء ، الآية : (٦٧) .

(٢) سورة لقمان ، الآية : (٣٢) .

(٣) ذكرَ هذا الفرقَ الشيخُ محـمَّدُ بنُ عبد الوهَّاب رحمه الله تعالى في كتابِه كَشْفُ الشُّـبُـهاتِ فَقالَ : (أنَّ الأوَّلينَ يَعْـبُدونَ أناسًا صالحينَ ... أمَّا هؤلاء فَـيَعبدونَ أنـاسًا مِن أفجَرِ النَّاسِ ، وهُم يَعْـترِفونَ بذلك ، فالَّـذين يُسَمُّونَهم الأقطَاب والأغواثَ لا يُصلُّونَ ولا يَصومونَ ولا يَـتَـنزَّهونَ عن ... الفاحشةِ ؛ لأنَّهم بزَعمِهم ليس عليهم تكاليفٌ) اهـ .

(٤) قال الشيخُ بكر أبوزَيد رحمهُ الله تعالى في كِـتابِه (العُـزَّاب) : (البَـدَويُّ : أحمدُ بنُ عليٍّ الحُسَـيْـنيُّ البَـدَويُّ المصريّ ، المتوفّى سنة ٦٧٥ ، وقبرُه وَثَـنٌ يُعبَـدُ مِن دُونِ الله تعالى ـ في طنطا ـ نسألُ اللهَ السَّلامةَ والعافيةَ ، اللَّهُمَّ ثبِّت علينا عقولَنا =

وقَـدْ ساقَ الشَّيخُ الدَّليلَ علَى هذهِ القاعِـدةِ وهِيَ الآيَـةُ الكرِيمَةُ ، وهذِهِ القاعِـدَةُ كالنَّـتيجَـةِ لِـمَا قَـبْلَها مِن القَواعِـدِ .

وهذِهِ القَواعِدُ الأَرْبَعُ مِن أَنفَعِ القواعِـدِ في بابِ العقيدةِ وبَـيانِ التَّوحيدِ ، وبَـيانِ ما كانَ علَيْهِ الـمُشْرِكونَ قَديـمًا ، وما علَيـهِ أضرابُهُم حَديثًا ؛ ﴿ تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ (١) ، واللهُ المستَعَانُ .

وممَّا يَـدُلُّ علَى فسادِ عِـبَادةِ تلكَ الآلهةِ : أنَّ الَّذينَ يَعبُدونَها يَـترُكونَها وقْـتَ الشِّـدَّةِ ، ويَلْجَؤُونَ إلَى اللهِ وحدَهُ .

والَّذي يَستَـمِرُّ علَى ضَلالِـهِ حتَّى في حالِ الشِّدَّةِ أَشَدُّ شِركًا ممَّن يُشرِكُ في الرَّخاءِ دُونَ الشِّـدَّةِ ، ومِنْـهُ تَعْـلَمُ غِلَـظَ شِـرْكِ أَهْلِ هذا الـزَّمَانِ ، الَّذينَ يَعْـبُدونَ القُـبُورَ في هذه الأَزمِنَـةِ يَدْعُونَها في الرَّخاءِ والشِّدَّةِ ، وهذا أَشَدُّ شِركًا ممَّن سَبَق .

[ثَمَـرَةُ تَعَـلُّمِ هذه القَواعِـدِ]

وبِهذه القَواعِـدِ تَستطيعُ أنْ تُمَيِّـزَ حالَ الموَحِّدِينَ مِن حالِ المشرِكينَ ، وتَستَـطيعُ أنْ تُمَيِّزَ التَّوحيدَ مِن الشِّركِ حتَّى لا يَختلِطَ علَيْكَ الأمرُ ، وتَستطيعُ بِهذه القواعِدِ أنْ تَعْلَمَ أنَّ الإقْـرَارَ بأنَّ اللهَ تعالى هُوَ الـخَـلَّاقُ وهُوَ الرَّزَّاقُ وهُوَ الَّذي يُدَبِّـرُ الأمرَ مـعَ صَرْفِ العِبادةِ لِغَيرِ اللهِ تَعَالى ـ مِن هذا تَعْلَمُ أنَّ هذا الَّذي هُوَ تَوحيدُ الرُّبوبيَّةِ مـعَ الشِّـركِ في

= وثبِّت لنا دينَنا ، ترجمَه ابنُ العِمادِ في الشَّذراتِ (٥/ ٣٤٥) ... وذكرَ في ترجمـتِه مِن الحكاياتِ ما يُستَحَى مِن ذِكرِه) اهـ .

انظر : مجمُوعةَ النَّظائر للشَّيخ بَـكْر أبوزَيد (ص : ٢٥٣) .

(١) سورة البقرة ، الآية : (١١٨) .

الأُلوهِيَّـةِ ـ أنَّ هذا لا يُسْمِنُ ولا يُغْنِـي مِن جُوعٍ ، وأنَّه لا يُدخِلُ الجَـنَّـةَ ولا يُــنَجِّي مِن النَّارِ ، وتَعْلَمُ أنَّ النَّبِيَّ صلَّى اللهُ علَيْـهِ وعلَى آلِه وسلَّمَ حارَبَ المشرِكينَ علَى جميـعِ صُوَرِ عِباداتِهم وشِركِهم ، ولَـمْ يُفَـرِّقْ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ بَينَهُم فحـاربَهُم جميعًـا ، فالشِّركُ مِلَّـةٌ واحدةٌ .

فإذَنْ ممَّا يَنبغِي أنْ يَتعلَّمَه العَبْدُ تَعَلُّـمًا صحيحًا وأنْ يَبدأَ بِه ، لأَنَّهُ لا يُقْـبَلُ عملٌ إلَّا بِه ، ولا يَصِحُّ للعَـبْدِ عِبادةٌ إلَّا بِه ، كما أنَّـهُ لا تَصِحُّ لَهُ طهارةٌ معَ الحَـدَثِ والخَـبَثِ ، فكذلِكَ لا يَصِحُّ لَهُ عِبادةٌ معَ الشِّركِ الدَّنِسِ ، فيَجِبُ علَى الإنسـانِ أنْ يَـتَعلَّمَ دِينَـهُ ، وأنْ يَعرِفَ تَوحيدَ رَبِّـهِ وأنْ يَعرِفَ الشِّركَ لِيَــتَوَقَّاهُ حتَّـى لا يُقَارِبَـهُ فَضْـلًا عَـن أنْ يَتَـلَـبَّسَ بِـهِ .

[خاتِـمَـةُ الرِّسَـالَـةِ]

قالَ الـمُصَنِّفُ رحمهُ اللهُ تَعَـالَى في آخِـرِ ما ذَكَـرَ مِن القَـواعِـدِ الأَربَـعِ : (**تَـمَّتْ ، وصلَّى اللهُ عَـلَى مُحَمَّـدٍ وآلِـهِ وصَحْبِـهِ وسلَّمَ ، وآخِـرُ دَعْـوانَـا أَنِ الْـحَـمْـدُ للهِ رَبِّ العَـالَمِينَ**) . (١)

---

(١) كانَ الفراغُ مِن تَفريغِ هذا الشَّرحِ ومراجعتِه والتعليقِ عليهِ بعدَ العشاءِ ليلةَ الإثنينِ ٢٣ محرَّمَ الحرام سنة ١٤٣٠ والحمدُ للهِ رَبِّ العالمينَ وصلَّى اللهُ علَى نبيِّنا محمَّدٍ وعلَى آلِه وصَحبِه وسلَّم .